الفصل السادس
ثقافة السلام وحوار الحضارات

الثقافة لغة السلام رؤية حضارية

الإنسان كائن اجتماعي وهو فى سلوكه داخل المجتمع يتخذ ألوانا كثيرة ومتعددة من النشاط، هذا النشاط له خصائص سلوكية فى علاقة الجماعة بعضها ببعض، ومن هنا إن الثقافة والمجتمع وجهان لعملة واحده، والعلاقة وثيقة بين المفهومين، لأن الظواهر لا ينفصل وجودها عن الواقع، إن الثقافة صورة متميزة لحياة الناس، ومن هنا تعتمد الثقافة على وجود المجتمع، ومن ثم لا توجد ثقافة إلا بوجود المجتمع، ثم إن المجتمع لا يقوم إلا بالثقافة. والثقافة هى التى تمد المجتمع بالأدوات اللازمة لتدفق وتنوع مفردات الحياة فى نسيجه لذلك فالثقافة تلعب دورا جوهريا فى حياة الإنسان، لأنها تؤكد الصفة الإنسانية للجنس البشرى.

حاول كثير من العلماء والمفكرين الوصول إلى تعريف محدد لمفهوم الثقافة بالطبع إختلفت الآراء والتعريفات ولكن يمكن القول بأن هناك تعريفا لأحد العلماء المحدثين فى علم الإجتماع وهو إدوارد تايلور حيث يقول " إن الثقافة هى الكيان المركب والذى ينتقل اجتماعيا ويتكون من المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاق، والقانون، والعادات.."[1] وفى هذا التعريف نجد أن مفهوم الثقافة يأخذ بعدا شموليا يجمع بين العناصر الفكرية والسلوكية والمادية، ومن هنا أيضا يتضمن مفهوم الثقافة مجموعة القيم والأفكار والمعتقدات والسلوكيات وأيضا الإنتاج المادى والمعنوى للمجتمع، وعلى ذلك ينفتح مفهوم الثقافة ليشمل الكتاب والقصيدة الشعرية

[1] محمد الجوهرى: موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 512.

وقطعة الموسيقى واللوحة الفنية والفيلم السينمائى وبناء العمارة والقرية وسلوك الناس وتصرفاتهم فى علاقاتهم المجتمعية لكى تبنى وتشيد رؤية جديدة لتجاوز المجتمع القديم إلى مجتمع جديد يحمل فى طياته روح تدفعه نحو التقدم والتحديث.

إن السلام هدف إنساني يسعى اليه كل من كانت سريرته حب الخير والوئام، لأن السلام هو طريق البناء والإستقرار، طريق التقدم والرقى، فهو أصل كل حضارة، لأن السلام هو مسار الإبداع والإبتكار، فالسلام احترام لكينونة الإنسان، الإنسان بفطرته سالم مسالم محب للسلام كاره للحرب والعنف والدمار يعشق الخير نابذ للشر، هكذا خلق الله الإنسان. إن تحية أهل مصر والعرب والمسلمين جميعا "السلام عليكم" لذلك فإن السلام فى دمائنا فى عقولنا وأجسادنا، حيث نشأ العالم العربى على مبادىء السلام الحنيفة ولم ينشأ على ثقافة العدوان والحرب أو حل الأزمات بإستعمال العنف والحرب. إنها دعوة عالمية لتغيير المفاهيم تجاه المجتمع الدولى، ما أجمل صنع تيار عام للندوة والقصة والمسابقات الإبداعية والحوار فى المعسكرات والرحلات والبرامج وغيرها من الأنشطة للنشء والشباب ولكل الأسرة عن مفهوم ثقافة السلام، مكونات ثقافة السلام، وجهات النظر المختلفة حول معنى السلام، كيف يسهم السلام فى بناء وتنمية المجتمع، إنها دعوة لتغيير نمطية التفكير، إنها دعوة للإستنارة.

ثقافة السلام معناها أن تسود ثقافة الحوار والمناقشة والإقناع في تعاملنا مع الآخرين بدلاً من فرض الرأي، بمعنى آخر إن ثقافة السلام هي أن

نحل ما ينشأ من مشاكل وخلافات عن طريق التفاوض، وليس عن طريق العنف ومن مبادىء ثقافة السلام، أن نقبل المختلفين عنا. ولمحب السلام صفات يتصف بها مثل: غير متعصب، ويرحب بفكر الآخرين، ويميل إلى التعرف إلى كل ما هو جديد بعقل مستنير ومتفتح.

والشيء بالشيء يذكر، إن كلمة السلام صنعت لدى تداعيات لإسم ألفريد نوبل أحد أشهر الأسماء فى العالم، كما تعد الجائزة المعروفة باسمه من أقدم الجوائز العالمية وأكثرها شهرة وأكبرها قيمة من حيث قيمتها المادية، أو من حيث قيمتها الأدبية والمعنوية ... كان نوبل يسجل فى مذكراته معلومات عن سائل النيتروجليسرين و فكر فى كيفية استئنان مثل هذه المادة شديدة الإنفجار ونجح بالفعل عام 1866 فى اختراع الديناميت وحصل على براءة الإختراع فتهافتت على شرائه شركات البناء والمناجم والقوات المسلحة حتى أصبح من أغنى أغنياء العالم فى ذلك الوقت وسمى "ملك المفرقعات فى العالم"، و لكن الصحافة هاجمت ألفريد نوبل فى أوروبا وحملت عليه بشدة وأطلق عليه بعض الصحافيين لقب "صانع الموت" لأنه صنع شهرته وثروته من صناعة المفرقعات التى استخدمت فى الحروب تلك الحروب التى تدمر الإنسان والمجتمع. وواجه ألفريد هذه الحملة بأن رسم صورة لنفسه معاكسة تماماً للسائد عنه، فقد صور أنه كان يحلم دائماً بأن يرى نهاية للحروب، وأن يعم السلام بين الأمم وزعم أنه كان يرى فى الديناميت أملاً فى رخاء وسعادة البشرية، من خلال استخدامه فى حفر المناجم واستخراج الخيرات والثروات الطبيعية وشق الطرق لتسهيل التجارة والاتصالات بين البشر. فقرر فى أواخر حياته أن يهب بعض ثروته لكل من يسهم فى إسعاد ورخاء البشرية. تضمنت

الوصية التى تركها مبالغ معقولة لأقاربه وأصدقائه أما الجانب الأكبر من ثروته فقد أوصى باستثمارها فى مشروعات ربحية، ويتم من ربحها منح خمس جوائز سنوية لأكثر من أفاد البشرية فى خمسة مجالات حددها: فى الكيمياء، والفيزياء، والطب أو الفسيولوجيا، والأدب، والسلام العالمى.
وأوصى نوبل بأن يكون الاختيار للجوائز نزيهاً، وأن تمنح الجوائز لمن هو أكثر استحقاقاً بها بغض النظر عن جنسية المرشح سواء كان سويدياً أو لم يكن، هكذا إعترف نوبل أنه لا فائدة من الحرب والدمار، إن بناء المجتمع والحفاظ على الإنسان هو الأصل فى مسيرة الحياة.

وهكذا يؤمن المجتمع الدولي بأهمية السلام فقرر أن يكون (اليوم الدولي للسلام (21 سبتمبر من كل عام) إيماناً من المجتمع الدولي بأهمية السلام قررت الجمعية العامة في قرارها المـــؤرخ 7 سبتمبر 2001 ، أن يُجرى إبتداءً من عام 2002 الاحتفال "باليوم الدولي للســـلام، وأعلنت الجمعية أنه سيُحتفل بهذا اليوم بوصفه يوماً لوقف إطلاق النار وعدم العنف في العالم، وهو دعوة لجميع البلدان والشعوب إلى التزام وقف الأعمال العدائية خلال ذلك اليوم، ودعت جميع الدول الأعضاء والمؤسسات التابعة للأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية وغير الحكومية والأفراد إلى الاحتفال "باليوم الدولي للسلام" بصورة مناسبة، بما في ذلك التعليم، وتوعية الجمهور، والتعاون مع الأمم المتحدة في تحقيق وقف إطلاق النار على النطاق العالمي. إن السلام ليس بسلام إذا افتقد مبدأ الجماعة، أي أنه ليس سلام فردى أو سلام دولة وحدها ولكنه منظومة جماعية تضم أجناس مختلفة من البشر لكل منـهم ثقافته وآراءه، ولكن تطلعهم للسلام هو نقطة إلتقائهم.

إن الثقافة لغة السلام يجب أن تتوجها المعرفة لأننا نعيش عصر المعرفة، وقوة المعرفة اليوم تجعل المجتمع يعرف ما يريد يعرف أهدافه المستقبلية يعرفه خططه نحو تحقيق تلك الأهداف، ويعمل على إنجازها بكل الإتقان والتميز.

إن الثقافة لغة السلام أيضا تحتاج القوة المادية في البناء الاقتصادي لكي يكون لها الغلبة فى الإنتصار على قوى الشر وقوى الهدم، إن الثقافة لغة السلام طريق نحو نور المعرفة، طريق نحو الحفاظ على سلامة المجتمع، طريق نحو تقدم المجتمع إلى الأفضل والأجمل.

ثقافة السلام
بين
الإنسان الرقمى والإنسان الإنسان

إن الإنسان كائن متفرد فى هذا الكون، خلقه الله لكى يعمر الكون، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذى ندركه ونعرفه يمتلك العقل والإرادة وله القوة والقدرة على تغيير المحيط الذى يحيا فيه، وهو أيضا القادر على تغيير نمطية الحياة نحو المبتكر والجديد، لأن الإنسان يقوم بما لا يمكن للقردة أن تقوم به، فعالم القردة عالم عشوائى، لا يستند إلى عقل بناء، فهم ليسوا قادرين على الإنجاز والعمران، أما الإنسان فهو القادر على ابتداع مجتمعات إنسانية تتميز بالنضج والازدهار تقوم على علوم وفنون وقيم روحية وإجتماعية وبفضلها تتكون الحضارات.

يقول الأديب الفرنسي أندريه مالرو (1901- 1976) في حديث له عن الحضارة الحديثة " إن حضارتنا لا نظير لها فى الماضى، لأنها وريثة هذه الحضارات جميعا... لم يحدث من قبل أن ظهرت حضارة ترى أن الإحاطة بمعتقدات مصر والهند والمكسيك أسس ضرورية لمعرفتنا بالإنسان...لقد امتد مجال المعرفة إلى مدى بعيد فى دراسة مختلف حضارات البشر... كان أجدادنا لا يعرفون غير حضارتهم المميزة أى حضارة البحر المتوسط، ويتصورن باقى الحضارات همجية أما الآن فإننا قد بدأنا نؤمن بوجود تاريخ عالمى واحد، ونبضات عالمية واحدة."

نعم إنها حضارة عالمية واحده، وهى حضارة قوية وهى تتميز بأنها من خلق أناس يفهمون ذاتهم ويدركون مسؤوليتهم عن أفعالهم، وهى تستمد قوتها من ذاتها ومما سبقها من حضارت، ولكن على الوجه الآخر إن هذه الحضارة رغم تقدمها وحداثتها مرضت بالإنسان الرقمى، لا أدرى كيف أعرفه لأنه محير، ولكنى سوف أحاول وصفه، لعل يكون فى وصفه بعض التعريف، الإنسان الرقمى لا يهتم إلا بالأرقام، وهو يتنقل بين الارقام الاسم: لا يهم، البلد: لا يهم، الإنسان الرقمى هوايته التنقل بين خانات الأحاد والعشرات والملايين والمليارات، الإنسان الرقمى يحب أن يملك ويقتنى أكبر عدد من الأرقام والخانات لكى يتباهى بها على البشر، الإنسان الرقمى شغله الشاغل عدد المدافع، عدد الطائرات، عدد المدرعات، عدد الأقمار الصناعية، عدد المقتولين، ، الإنسان الرقمى أحادى النظرة ، لا يعرف إلا أهدافه، لا يحقق إلا أهدافه، الإنسان الرقمى ليس له عقل أو وجدان، الإنسان الرقمى لا يستشعر كلمة أو نغمة أو لون أو حركة أو حتى كتلة صماء، الإنسان الرقمى لا يتأثر بالآخرين ولا يعبأ بهم فهم لا شىء، الإنسان الرقمى لا يعرف الدفء الإنسانى أو ضوء القمر، الإنسان الرقمى لا يعرف معنى الوقت، لا يدرك الصباح من المساء، الإنسان الرقمى لا يعرف رائحة الورد أو الياسمين، ولا يرى الأطياف المتلألئة، ولا يعرف الألوان، الإنسان الرقمى حجر صلد، الإنسان الرقمى مثل الإنسان الآلى حركاته روبوتية لا يفعل إلا ما يملى عليه دون عقلانيه، الإنسان الرقمى لا يعنى بالمبررات، لا توجد لديه مبررات، لا شىء سوى أن يأخذ من العالم كل ما يقدر على أخذه، ومن يأخذ أكثر هو الأكثر تفوقا، لا يهم كيف يحدث هذا، يعتنق الإنسان الرقمى

المادية والقوة اللتان تحددنا بالفعل قوة البطش، إن هذه القوة هى أول خطوة فى طريق تدمير نفسه، وفى طريق المادية التى تقوده لأن يصبح إنسانا تخلى عن كرامته ومشاعره وولائه، الإنسان الرقمى يتنفس الغبار الذرى، الإنسان الرقمى لا يعرف معنى الأشياء، يحمل خيالا تدميريا للبيت والطفل والورد والقش والسنبلة، هو يستنفد كل طاقاته فى التدمير لأنه يتسم بالشراسة والفظاظة، إنه التعصب الأعمى الذى لا يرى إلا ذاته المتضخمة التى تهدر آدمية الإنسانية، الإنسان الرقمى يحمل فى داخله جينات إنهياره، فهو يسير نحو الوهن، إن سلوكياته تنافى العقل والوعى الحضاري السليم.

أما الإنسان الإنسان فقد وجدت سهولة فى تعريفه فوجدتنى أقول بشكل مختصر هو " مبدع الحضارة " نعم فهو ينتمى لجيل المبدعين والبنائين العظماء فى تاريخ الإنسانية، المبدعون والبنائون الذين يغيرون من صفحات التاريخ نحو الأفضل والأجمل لبنى البشر، وذلك لأن الإنسان الإنسان يحمل قيم العلم والمعرفة التى تساهم فى تطوير الحياة، الإنسان الإنسان يؤمن بقيمة العمل الجاد والمخلص كقيمة كبرى للبناء والتطور، الإنسان الإنسان يحترم الآخر فى آرائه ووجهات نظره، فهو يفهم الرؤى المتعددة ولا يقتصر على أحادية النظرة، الإنسان الإنسان يرى أن التنوع الثقافى ثراء، وينظر للحضارات على أنها متكاملة وليست متصارعة، الإنسان الإنسان يتذوق الفن والجمال فى كل الأشياء، إنه يتخاطب مع النبات والجماد، يستشعر أن تيارات روحيه تربطه بالشجرة والزهرة والهضبه وأن هناك حوارات متبادلة بينهم، الإنسان الإنسان قلبه أرق فى خفقانه من الطيور المغردة السابحة فى السماء العاليه، الإنسان الإنسان

يحمل قيم الزهد ـ وهو يمكن أن يمتلك ما بين القطبين الشمالى والجنوبى من خيرات ـ لأنه يوظف ما لديه لرقى مجتمعه، الإنسان الإنسان لا يرتفع على حساب الآخرين، ولا يتجاوز الآخرين، وليست الغايات لديه تبرر الوسائل، لأن فى داخله يحمل جينات الرأفة والرحمة والإيثار والتفائل، الإنسان الإنسان يحمل خيالا خلاقا يجمل الواقع، ويستشرف رؤى المستقبل، الإنسان الإنسان يملك حكمة الشرق القديم الباحث عن طبائع الأشياء وحقائق الموجودات فى محاولة للبحث عن الحقيقة، عن النور الذى يوضح طريق المسير للرقى الإنسانى.

إن حضارة عصرنا رغم تفوقها مرضت بالإنسان الرقمى، ومن ثم لا بد من جهود مضنية لعلاج مسارها، وتصحيح مساره، الخطر يحدق بالإنسانية، وعلى الإنسان الرقمى أن يتنبه، أن يتراجع، وعلى الإنسان الإنسان أن يتصدى، أن يقاوم، أن يكون جبهة صد وردع ونضال للمحافظة على قيم الحق والخير والجمال، الإنسانية بحاجة إلى البنائين فى مسيرتها للتطور المستنير.

ومصر بحضارتها وتاريخها أرض السماحة والسلام وهى تواصل مسيرتها فى التمسك بقيم السلام لأن السلام منطق العقلاء على وجه الأرض، وترنيمة كل إنسان عذبته أهوال الحروب، ولأن السلام هو تطلع الأرواح البريئة إلى شاطئ الأمان، إنه البحث عن البقاء، والاستقرار، إن ثقافة السلام هى القاعدة الأساسية والدعامة القوية التي تمكن الإنسان من أن يعيش في خير ورفاهية وطمأنينة وتساعده للعيش في بيئة صالحة قادرة على تحقيق الازدهار الثقافي والحوار الفكري والفهم السياسي

بأسلوب إنساني يتسم بالرقي والتوازن وفي إطار مبني على الاحترام المتبادل والحوار البناء المتكافئ، كبعد تنويرى لكى نبنى " الإنسان الإنسان" ضد " الإنسان الرقمى " بالفعل لن يعالج أمراض الإنسان الرقمى إلا ثقافة الإنسان الإنسان، ثقافة السلام، لأنها قادرة على بناء الحضارة والمحافظة عليها واستمراريتها، لأن الحضارة مرادفة للثقافة، وهذا يعنى أيضا أن الثقافة هى التى تخلق الحضارة.

ثقافة السلام ونداء أينشتاين

هل يفهم الآخر؟!

الحرب على مدار التاريخ جعلت العالم يتناثر مبعثراً، تتناثر الجدران والأشجار وبنو البشر وتتبعثر معها الأحلام، ولكن هل يمكن أن تتجمع هذه الأجزاء المتناثرة مرة أخرى لكي يعاد ترتيب الأشياء فى صورة طيبة؟ إنها مسألة صعبة، لأنه إذا نجحنا فى إعادة بناء كل ما هو مادى للإعمار، فمن يكون قادراً على إعادة الأرواح التى ذهبت الى العالم الآخر بكل ما كانت تحمله من آمال وطموحات وتطوير للحياة التى نحياها؟ ومن ثم هناك ضرورة ملحة لبديل يكون قادرا على منع الحرب وأن يساهم بمنظومة مغايرة للشعوب وبحاجتها للتواجد الحياتى والحضارى، إنها ثقافة السلام التى تعمل العقل، ووسط أجواء الحروب تنطلق أصوات الرؤساء والعلماء والمفكرين بالحكمة والمنطق لكي يوقفوا الحروب المدمرة للإنسانية والتحضر، وواحد من هؤلاء العلماء آلبرت أينشتاين.

آلبرت أينشتاين (1879 - 1955) هذا العالم الذى يعتبر من أهم شخصيات القرن العشرين، صاحب نظرية النسبية، تلك النظرية التى فرضت وجودها ليس فقط على عالم الرياضيات والبحث فى علم الكونيات، وإنما امتد تأثيرها على الفلسفة والفن التشكيلى والرؤى الثقافية، أينشتاين الذى يعزف الكمان ويعشق الموسيقى الكلاسيكية، أينشتاين ذو التفكير العميق المحب للتأمل والذى يعتبره نقطة إنطلاق للإبتكار فى عالم

الخيال هذا العالم القادر على تكوين أفكار جديدة مغايرة للواقع المألوف ـ نعم إن القوة التخيلية لها دور مهم فى المجال العلمى وهى فى نفس الوقت ذات حدين، فهى مصدر مهم فى البحث عن كل معرفة جديدة، ولكنها يمكن أن تكون خطراً إذا لم يكن هناك نظام يضع الإطار العام فى خطوات محددة تصنع رحلة وصول لهدف ـ يؤمن أينشتاين بهذا النوع من الخيال المبتكر، ويؤمن أيضاً بقيمة العمل والبحث كمتعة حقيقية للكشوف العلمية، ويؤمن أيضا بأن للعالم دورا فى محيط تواجده الإنسانى فهو ليس منفصلا عما يدور حوله ولكن هو جزء من كل.

لقد كانت لآراء أينشتاين العلمية نبوءات كثيرة أثبتت الأيام صدقها وصحتها على سبيل المثال ينكسر شعاع الضوء عندما يمر فى مجال جاذبية الشمس، وكانت المفاجاة عندما حدث كسوف كلى للشمس فى 29 مايو 1919، حيث أكدت الصور التى تم إلتقاطها صحة ما قاله أينشتاين حتى العلامة العشرية للرقم الذي حسبه في معادلته الرياضية، إذ انحنى شعاع الضوء فعلاً بالطريقة ذاتها والمقدار نفسه الذي حدده عالمنا آنفاً، لذلك منحه المجمع السويدى جائزة نوبل عام 1921 ومنحته الكثير من الجامعات الدكتوراه الفخرية ومنها السوربون 1929.

وكانت أيضا لأينشتاين وجهات نظر إجتماعية فى رفضه للحروب لا تقل أهمية عن نظرياته العلمية فهل يصدقها الآخر ويفهمها مثلما صدق الجانب العلمى؟ سوف أذكر هنا موقفين جديرين بالتامل والإحترام، الموقف الأول، نداء السلام، نداءه إلى مؤتمر الطلبة لنزع السلاح، الذي ألقى على جماعة من الطلبة الألمان الداعين إلى السلام عام 1930،

ونشر فى كتاب " كيف أرى العالم" سنة 1934، يكتب أينشتاين " لقد أهدت إلينا الأجيال السابقة علماً وصناعة فائقة التقدم وهما هدية قيمة تتيح لنا أن نجعل حياتنا حرة جميلة إلى حد لم يبلغه أحد قبلنا. ولكن هذه الهدية تحمل فى ثناياها أيضاً أخطار تهدد كياننا أكبر من أى أخطار هددت هذا الوجود من قبل...إن مصير البشرية المتمدينة يتوقف الآن أكثر من أى وقت مضى على الطاقة الأخلاقية التى فى مقدورنا أن نؤديها، ومن هنا كانت المهمة التى ألقيت على عاتق عصرنا أصعب دون شك مما أداه أسلافنا...إن أساليب الحرب الميكانيكية قد تقدمت بشكل يجعل الحياة فظيعة لا تطاق مالم يكتشف البشر سريعاً وسيلة ناجحة لمنع الحرب. ولا يعدل الأهمية الحيوية التى لهذا الهدف إلا عدم كفاية الوسائل والخطوات التى اتخذت اليوم لبلوغه...إن بعض الناس سيحاولون التقليل من خطر الحرب. ولكن الحرب ليست لعبة من ألعاب التسلية يتقيد فيها اللاعبون بالقواعد والأصول فعندما يتحول الأمر لمسالة حياه أو موت تسقط القواعد أو الإلتزامات. إن أقل ما يلزمنا هو أن نجحد كل حرب جحوداً مطلقاً ولا يكفي أن يكون هناك مجلس دولى للتحكيم إذ لابد من أن نعقد معاهدات تضمن تنفيذ قرارات مثل هذا المجلس بواسطة كل الأمم فى عمل جماعى واحد وما لم يتوفر مثل هذا الضمان لن تستطيع الدول أن تنتزع السلاح جدياً ولن تجبر على ذلك"[1]

يدرك أينشتاين قيمة الحياة الإنسانية وعلى ذلك يروع من مآسى الحروب التى تنهار معها كل الأصول والأخلاقيات، ويطالب المجتمع الدولى أن يتخذ موقفا تجاه هذا العبث بحياة الإنسان من خلال القواعد والمواثيق

[1] ألبرت أينشتين: أفكار وآراء، ترجمة، د. رمسيس شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 153، 154.

الدولية، وأيضا أن يلعب المجتمع المدنى دورا لمنع الحروب، لقد أدرك أينشتاين مسئوليتة ومسؤولية العلماء عن الأسلحة التى ساهموا فى إبتكارها وتم إستخدامها فى الحرب، ولكنه يقول فى هذا الموضوع "إن علينا نحن العلماء الذين أدى بهم قدرهم المأساوى إلى المساهمة فى جعل وسائل التدمير أكثر شناعة وأكثر فاعلية، أن نعتبر، واجبنا المقدس والأسمى أن نفعل كل ما فى وسعنا من أجل منع إستخدام هذه الأسلحة." وعندما علم أينشتاين بتدمير هيروشيما وناجازاكى باليابان (1945) لم يكن يتوقع هذا الدمار وهذه النتائج المؤلمة للإنسان والبيئة وقال بدهشة " لم يخطر ذلك ببالى على الإطلاق" لقد روعه ما حدث ولذلك فهو يرى أن السعى الإيجابى فى سبيل حل مشكلة الحرب واجب أخلاقي من ألزم الواجبات ولا يستطيع أحد التهرب منه.

أما الموقف الثانى والذى لا يقل أهمية وتقديرا عن الموقف الأول فهو دوره فى بناء مستشفى، بعد الحرب العالمية الثانية أراد الأمريكان أن يشيدوا مستشفى، وكان من المقترح أن تتكون لجنة من أعضاء مجلس الشيوخ، وكانت فكرة اللجنة عمل "يانصيب" على شيء له قيمة يتسابق أصحاب الملايين على إقتنائه كأثر باقٍ على مر الزمن، وكانت الفكرة هى أن يحصلوا على النشرة الأولى التى كتبها أينشتاين بخطه عن نظرية النسبية (1905) ثم يقوموا بطرحها فى مزاد علنى لكى يحصلوا على أكبر مبلغ ممكن، ولكن بسؤال المنوطين بدورية برن التى نشرت نظرية أينشتاين، والتى كانت مكونة من ثلاثين صفحة، أجابوا أن نص الدورية موجود منه نسخ مطبوعة، أما الأصل فكان حظه سلة المهملات، وسمع أينشتاين بما دار من مكاتبات، على الفور كتب أينشتاين بخط يده هذه

النشرة مرة ثانية فى ثلاثين صفحة وأضاف إليها ثمانى صفحات جديدة ووقعها وأرسلها إلى اللجنة. فهل تعرف عزيزى القارىء كم بلغ الثمن لهذه المخطوطة؟! لقد بلغ الرقم ما يوازى خمسة مليون جنيه ـ وهو رقم كبير جدا لهذا الوقت ـ وكانت المخطوطة من نصيب مكتبه مجلس الشيوخ الأمريكي، وبنيت المستشفى لكي تكون رمزاً للرحمة والإرتقاء بالمجتمع الإنسانى إلى الأفضل، وإلى قيم ثقافة السلام.[1]

لم يتخل أينشتاين عن دوره فى ندائه نحو السلام، لم يأخذ موقفا إنعزاليا، وإنما ساهم بجهده ووقته حتى يدرك الآخر هذا الوعي الإنساني نحو قيم وثقافة السلام، فهل سيدرك الآخر هذه الإستنارة؟!

[1] انظر د. محمد محمود غالى: محيط العلوم، مقال الراديوم- النسبية-الطاقة الذرية-قنبلة الهيدروجين، دار المعارف المصرية، 1966، ص 265، 266.

نجيب محفوظ
القراءة وثقافة السلام

إستيقظ الأديب العالمى الكبير نجيب محفوظ وهو يرقد على سريره فى المستشفى على أصوات قصف المدافع والصواريخ والطائرات لمدن لبنان ـ في نشرة الأخبار ـ وسأل من حوله، هل هناك توصل لحل هذه الأزمة الدامية التى تجرى فى لبنان؟ وكانت الإجابة بالنفى، لا، لم يتم التوصل إلى إتفاق لوقف إطلاق النار، حينئذ شعر الأديب الكبير بالمرارة والحزن والأسى، وقال " أعوذ بالله ". إن نجيب محفوظ بهذا السلوك يمثل نموذجا للمثقف الفاعل، المثقف المنير، كما يقول المفكر د. زكى نجيب محمود (1905-1994) فهو الذي يتفاعل مع الأحداث يؤثر ويتأثر بها، لا يترك الأشياء تمر دون إشتباك إيجابى معها، لأنه يؤمن بأنه مطالب أمام نفسه وأمام الناس بالرأى، فالكلمة التى يملكها لا تقل عن قوة السلاح.

كان لهذا الخبر الذي قرأته في إحدى الصحف تداعيات كثيرة ذكرتنى بلقاء هام للأديب العالمى مع مجموعة من نشء وشباب مصر وهم يهدونه كتاب " أنا نجيب محفوظ.. سيرة ذاتية "[1] تأليف الكاتب إبراهيم عبد العزيز من إصدارات المجلس القومى للشباب، كرائد تنوير لرحلة عطاء معرفى يؤمن بقيم العلم والعمل والسلام كمعطيات للبناء الحضارى للوطن الأم مصر والعالم العربى، وأيضا للوطن الكبير، العالم، فنجيب محفوظ لا يتشرنق داخل ذاته، وإنما هو ينفتح بعقل رحب وبروح طواقة للتواصل

[1] ابراهيم عبد العزيز: أنا نجيب محفوظ... سيرة ذاتية " المجلس القومي للشباب، السلسلة الثقافية، يناير 2006.

مع الإنسانية، لقد كان لهذا اللقاء عديد من المحاور الهامة نحاول أن نستعرضها، أولا: القراءة بوابة المعرفة، عندما سأله أحد الشباب ما هى أهم نصيحة تقولها لجيلنا؟ بلا تردد وبصوت قوى يمتلىء ثقة وحيوية قال الأديب الكبير: القراءة، القراءة، القراءة، كررها ثلاث مرات لأنه يعرف أن القراءة طريق المعرفة، القراءة تسلحنا بالعلم الذى هو سمة العصر، والعلم قوة، العلم يجعلنا ندرك المحيط الذى نحيا فيه، يجعلنا نقيم الأشياء بأبعادها الحقيقية، يجعلنا نضع الأهداف والخطط والبرامج للمستقبل، إنها القراءة فى كل المجالات الأدبية والفنية والسياسية والإقتصادية وغيرها من المجالات التى تفتح الآفاق نحو رؤى جديدة مبتكرة، ويذكر الأديب العالمى نجيب محفوظ أن مدرس اللغة العربية كان له أثر كبير في توجيهه لقراءة الأدب والتراث لأنه لم يكن يتقيد بالمنهج المقرر وإنما يتطرق لموضوعات كثيرة متنوعة ويذكر أنه كان دائما يضفي علي الحصة بهجة كبيرة بالاستشهاد بأبيات شعرية وحكايات أدبية ذاكرا مصادرها، وكان أيضا يدلهم علي كتب من التراث القديم والمعاصر مثل كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى، وألف ليلة وليلة وكتب المنفلوطى لذلك بدأ يقرأ كتبا لم يكن جيله يقرؤها أو يعرف عنها شيئا، وأيضا كان يوجههم للأدب العالمى مثل أعمال شكسبير وجوته وديكنز، كل ذلك ساهم فى تكوينه الثقافى، ويؤكد ذلك مهرجان القراءة للجميع تحت رعاية السيدة الفاضلة سوزان مبارك كمشروع حضارى للأسرة تنهل منه كنوز الكتب التراثية والمعاصرة بأسعار بسيطة، ليكون منارة ثقافية لتنمية المجتمع.

ثانيا: العمل، وكان هناك سؤال آخر من أحد الحاضرين كيف يمكن الحصول على جائزة نوبل؟ وأشار الأديب نجيب محفوظ ـ الحاصل على جائزة نوبل عام 1988 ـ أن الطريق إلى النجاح، كان هو العمل الدؤوب حيث أنه يعمل من أجل قيمة العمل، وليس سعيا وراء المال أو الجاه أو الشهرة. وأكد أنه يؤمن برسالة الكلمة ومدى تأثيرها على المجتمع كروح تنويرية وتثقيفية وتعليمية وأن أحد العناصر للإنجاز فى العمل، هو النظام، النظام الذى يطيل الوقت، يقول الأديب الكبير عندما كنت تلميذا كنت أحب الاجتهاد لأن الاجتهاد في حياتي ركيزة أساسية، لقد كنت كطالب من أسرة فقيرة يجب على أن أنجح وبتفوق، فكنت أحب الرياضة، وأحب أن أسمع أم كلثوم وعبد الوهاب وأحب أن أسهر مع الأصدقاء وإذا استسلمت لرغبة من هذه الرغبات أو هواية واحدة يمكن أن تبلعنى، لي أصدقاء كثيرون بلعهم السهر وبلعهم الشغل وبلعهم الاجتهاد، إنما من أجل أن تستمتع بكل هذا ينبغي أن تجعل لكل هواية أو رغبة أو متعة خانة لكي تضبطها وبالفعل ذاكرت ولعبت وأحببت هوايات ولكن في اطار منظم وطوال الأسبوع كنت طالباً ملتزماً متفرغاً لدراستي والعلم وأما يوم الخميس والجمعة كنت شيئاً أخر، النظام يحكم كل شيء أذكر أن بعض أصدقائي من شلة الكرة أستهلكهم لعب الكرة لأنهم اندمجوا في اللعب وأضاعوا دراستهم والسبب الأساسي لمحنتهم هو عدم النظام لا أكثر ولا أقل أو بالعكس يتفوقون لحد لايجدون فيه فرصة للعب، كي نجمع أشياء كثيرة علينا أن ننظم وقتنا، هذا النظام جعله يتفرد فى كتاباته الروائية وهنا يقول توفيق الحكيم (1898- 1987) فقد جاء روائى شاب موهوب كرس حياته للرواية وحدها، فلا شعر ولا مسرحية ولا سيرة ولا مشاركة مع نوع آخر من أنواع الكتابة مثل بقية الرعيل الأول الذى كانت

مشاركاته مع أنواع أخرى مع الرواية تمثل الأدب العربى كله، هذا الروائي الموهوب المخلص للرواية وحدها هو نجيب محفوظ. دخل الشارع وإذا به بعد قليل قد شيد فيه العمارات الشاهقة، ونظم الأرصفة، ووسع الشارع ووضع المصابيح.. وتبعته أجيال نشيطة مخلصة، فإذا شارع الرواية قد أصبح من أهم شوارع الأدب اليوم بفضل جهوده التى قصرها على الرواية وحدها. فإذا وضع لهذا الشارع اسم فلا شك عندي أن نتفق جميعاً على أن يكون اسم شارع الرواية: نجيب محفوظ ... بل إنى أقترح أكثر من ذلك وهو أن يكون للرواية عيد سنوى يكون يومه هو يوم عيد ميلاد نجيب محفوظ، ولنطمئن جميعاً على مستقبل الرواية بهذا العيد السنوى. "[1]

ثالثا: ثقافة السلام، وتطرق الحديث عن الحرب سواء على المستوى الإقليمى أو العالمى، وكان رده أن الحرب تدمر الأخضر واليابس، الحرب تقتل الأطفال والنساء والشيوخ، الحرب دمار للإنسان، الحرب دمار للحضارة والتحضر، ومن هنا تأتى قيمة السلام فى البناء والتنمية، فالسلام هام، يعلم نجيب محفوظ ماذا تعنى الحرب، إنه يعلم أنها كارثة إنسانية، لأننا نعرف متى بدأت الحرب، ولكن لا أحد يعرف متى تنتهى، وإلى أى مدى ستكون العواقب والخسائر، لذلك ثقافة التفاوض وثقافة السلام يمكنها أن تحقق ما لا يمكن تحقيقه بالحرب، نفس الرؤية تمسك بها الأديب الإنجليزي برنارد شو (1856-1950) حيث يرى أن السلام هو الطريق الأوحد للتنمية والحضارة، وعندما جاهر برأيه هذا ضد الحرب العالمية الأولى عام 1914 ونادى بالسلام، اعتبر خائناً ووضع فى

[1] ابراهيم عبد العزيز: أنا نجيب محفوظ سيرة حياة كاملة، نفرو للنشر والتوزيع، 2007، ص 14، 15.

السجن، وبعد ذلك ظهر أن موقفه كان سليماً وأصبح أشهر كاتب فى إنجلترا وكرمته الحكومة.

إن ثقافة السلام تصنع التنمية البشرية، تهيىء مناخ الإستثمار، تعمل على الإستفادة من ثورة المعلومات والإتصالات والتكنولوجيا المتطورة والتى صارت سمة هذا العصر، إن ثقافة السلام المدخل الحقيقى للتنمية الشاملة فى ظل وجود الإستقرار والأمن، فى عالم اليوم، عالم القرية الصغيرة، عالم التنوع الثقافى، عالم التطور السريع، من الضرورى للمجتمع الدولى أن يكون منطقيا وعادلا فى إيجاد حلول سلمية لوقف الحروب على كوكب الأرض، حتى ينعم هذا الكوكب بالأمن والسلام، لأننا جميعا شركاء.

حوار الثقافات نحو مستقبل أفضل

إن للإنسان آراء فى طريقة النظر Prospective إلى شيء ما، ومن هنا يأتي التنوع، لأنه لا يوجد اثنان ينظران لنفس الموضوع بنفس الطريقة، وطريقة النظر هذه ليست عملية موضوعية فقط، ولكن تتداخل في نسيجها الثقافة كجوهر من خصوصيتها، وعلى ذلك تتنوع سمات الشعوب والأمم والمجتمعات فى الحضارات المختلفة، وحتى فى البلدان الواحدة، فالقيم فى الحضارة الصينية تختلف عنها في الحضارة العربية أو الحضارة الغربية، إلا أن الرؤية الحضارية هي التي تنظر إلى تقوية وتعزيز وتشجيع التشابه الثقافي والتعدد الثقافي كثراء معرفي، وأن يكون الهدف هو عصر تعايش حضارات متعددة من خلال حوار الثقافات.

ولكن العالم من حولنا اليوم يموج بمهاترات، ومنازعات، وجدل، وتجاهل، ونفى، وتشويه للآخر بكل مقوماته الثقافية لكسب معركة التواجد والسيطرة والهيمنة، وهذا إن دل على شى فانه يدل على قصور فى الفهم والتبصر، وعدم محاولة للوعى والإستيضاح، وعلى الجانب الآخر ليست هناك محاولات كثيرة لبذل الجهود لتوضيح الرؤى ـ بوسائل متعددة ـ تكون قادرة على الإقناع، للخروج من حالة الإنغلاق، وحالة الإستغراق فى الذات والمصالح الذاتية، إلى حالة التفتح والتنامى والإحساس بالمعنى الإنسانى الكبير، العدالة، الإنصاف، الحق، الخير، الجمال.

يعكس هذا الوضع ما طرحه تقرير " نادى روما " عام 1979 تحت عنوان " من المهد إلى اللحد " حيث تم إعلان أن " الهوية الثقافية تشكل مصدرا متناميا للنزاعات الإجتماعية والدولية ... وتشكل الهوية الثقافية على المستويين الوطنى والدولى واحدة من أهم الحاجات النفسية غير المادية، حيث يمكن أن تكون مصدراً من مصادر الصراع المتزايد فى داخل المجتمعات وبين مجتمع وآخر ... فنحن نواجه صراعا جديا فى مجال القيم ... ذلك لأنه لا يوجد جهد جاد لمحاولة فى الفهم ".[1] ويبرز هنا سؤال ملحّ، هل نفقد الثقة فى قدرة المجتمع الدولى على خلق حوار حضارى؟ الإجابة، لا. لأنه فى عالمنا اليوم، عالم القرية الصغيرة بكل تقنياته التكنولوجية، والتى تجعل كل منا يرى ويعيش مع الآخر فى لمح البصر، عالم التعددية الثقافية، عالم وجهات النظر المختلفة، يصبح فهم القيم الثقافية، وتفعيل التواصل الثقافى مكونين ضروريين فى العلاقات بين الشعوب لكي ننتقل من حالة الصراع إلى واحة التعاون المشترك.

إن مفهوم مصر لثقافة السلام وحوار الثقافات ليس خيارا أو موقفا يمكن تأييده أو رفضه، لكنه حقيقة تاريخ، وحتمية حاضر، ومشروع مستقبل، وأن الأديان جذورها واحدة، ما يجمع بينها أكثر مما يفرّق، وهي جميعا تدعو إلى السلام والمحبة والإخاء، وذاكرة التاريخ القديم والحديث تؤكد لنا أن الحروب قامت بسبب صراع المصالح.

إذا كانت هناك آراء مشِّوهة للحقائق ـ لعالمنا العربى ـ فإنه من الضرورى أن نفتح قنوات اتصال مع الآخر لكي نصحح المفاهيم ونوضّح الحقيقة،

[1] المهدى المنجرة: حوار التواصل، وكالة شراع، المغرب، 1997، ص 38.

إنه دورنا ومن الضرورى أن نلعبه، ولا ننتظر من أحد غيرنا أن يؤدى ما يجب علينا فعله، إن الثقافة العربية والإسلامية عليها أن تصحّح المفاهيم بلغة الغرب، لغة الآخر، لغة تحمل فى طيّاتها العقلانية والمنطق والبرهان من أحداث ومواقف التاريخ، لغة تسلك فى تحليلها النهج العلمى فى الرد على الأفكار والآراء والآساطير المغلوطة، وهو دور واجب للمؤسسات، وللأفراد فالمسؤولية جماعية.

علينا أن نقدم للعالم نماذج حقيقية تعكس روح حضارتنا، روح العدل، روح التسامح، روح الحق، وفى إسلام سمرقند الدليل على ذلك، وسمرقند مدينة من مدن جنوب بحر قزوين, والبلدان التى فى جنوب بحر قزوين كانت ضمن الاتحاد السوفيتي الذى تفكك, وبقى فيه مجموعات إسلامية مستقلة، سمرقند مدينة مهمة فى هذه المنطقة، كان المسلمون يزحفون على تلك المناطق بعد فتح فارس وكانت هزيمتهم على يد سعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية، وزحفت الجيوش وحاصروا سمرقند, وإذا بها تصمد قلعة منيعة, تأبى أن ترفع الراية البيضاء، قاومت ولمدة طويلة, واستعصى على القوات أن تفتحها، وكانت النتيجة جلسة حول " مائـدة المفاوضات "، ثم اتفقوا على أن تدخل جيوش المسلمين المدينة يوم الجمعة، ويصلوا فيها صلاة الجمعة، ويتناولوا طعام الغداء ثم يغادروا المدينة، لكن ما حدث أن الجيش الإسلامى بعد الغداء رفض أن يغادر المدينة, وقالوا: الحرب خدعة. غضب أهل سمرقند وشكلوا وفدا فيما بينهم، يشتكون القائد والجيش، وذهب الوفد إلى الخليفة فى دمشق، وكان ذلك فى أيام عمر بن عبد العزيز والذي لقب بخامس الخلفاء الراشدين لعدله وورعه، فقال لهم: لماذا حضرتم هنا؟ أرجو أن تذهبوا قاض الحملة

فى الجيش وتعرضوا عليه الأمر ـ حيث كان فى كل جيوش المسلمين قاضى يحكم فى كل الأمور التى بها منازعات ـ ورجع الوفد إلى سمرقند، وتم عرض الموضوع على قاضى الحملة، وأحضر القاضى قائد الجيش، وحكى كل طرف حكايته، وبعد الإستماع والتحقق، حكم القاضى على القائد وجيش المسلمين بالخروج من البلد، ونفّذ الجميع هذا القرار على الفور. دهش أهل سمرقند مما حدث، وأخذوا يتناقشون حول هذا الدين وما به من عدل ونصرة للحق، وقررت سمرقند أن تدخل الإسلام.

علينا أيضا أن نستفيد مما كتبه الغرب عن فضل الحضارة العربية على العالم، لكى نرد على الإفتراءات التى يطلقونها علينا بنفس أقلامهم، فهناك أصحاب البصائر من علماء الغرب الذين قالوا كلمة حق وأنصفوا الإسلام، وأقروا بفضل العلماء العرب على التاريخ الإنسانى بتفوقهم فى علوم كثيرة كالطب والفلك والجبر والهندسة وغيرها، فها نحن نجد الدكتورة سيجريد هونكه فى كتابها " شمس الله على الغرب" الذى تقترب صفحاته من الخمسمائة صفحة تتحدث عن فضل العرب على أوروبا فى ميادين مختلفة منها الفلك فها هى تقول " إن السماء من فوقنا كانت ملعبا للفلكيين العرب يصولون ويجولون فيه... ويحققون من خلال ذلك أروع الاكتشافات العلمية، التى كانت المنطلق لكل علومنا المعاصرة"[1] ، وفى موضع آخر من الكتاب تقول عن الإسلام بعبارة تستعيرها من جوته " وجاء الحق الذى بلغه محمد، فبالتوحيد ساد العالم " [2]

[1] عبد التواب يوسف: الحضارة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، 1996، ص 81-82.
[2] نفسه ص 83.

إن حوار الثقافات فكرة حضارية، إنها المفتاح الحقيقي للتواصل بين الشعوب، إنها البوتقة التى سوف تنصهر فيها الأفكار لكي تخرج بروح جديدة، تسعى لخلق مفهوم ديمقراطى فى لغة الحوار، إن اللجوء إلى الحوار ليس مجرد خيار فكرى، إنها ضرورة يفرضها الواقع العالمى.

إن حوار الثقافات هو (طريق الحرير) الذي سوف تبنى من خلاله العلاقات السليمة، وهو الطريق الذي من خلاله تتزاوج الفنون والعلوم لكي تثمر مبتكرات جديدة فى مسيرة التاريخ الإنسانى. إن حوار الثقافات سوف يجعلنا نقتسم جماليات الحضارات بين بعضنا البعض، فى تعايش يتمتع بالحرية فى التحاور مع شعوب جميع الثقافات، واحترام تساؤلاتهم، واختلافاتهم، لتفعيل الحوار بين الجميع، إن ذلك خطوة فى الإتجاه الصحيح، خطوة نحو مستقبل أفضل.